

## الهويات الفرعية

### حق الإنوجاد - تحبيك السرديات - ابتكار الأنا

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٢٤ / ١١ / ٢٤

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٤ / ١٢ / ١١

ا.م.د. ماجدة هاتو<sup>(\*)</sup>

((أنت تعرف الاسم الذي أطلقوه عليك،

ولكنك لا تعرف الاسم الذي هو لك!))

جوزيه ساراماغو

#### الملخص

ادعاءات الاستبعاد والنفي والقهر والتهميش وهذا ما نسعى إليه في هذا البحث أي الكشف عنه عن طريق فحص خطاب الهويات الفرعية في المدونة الفلسفية والمدونة السير ذاتية والتمثيل الروائي، فضلاً عن اقتراح طرائق سبل العيش المشترك كما قدمته هذه المدونات وزيادة على مقترحاتنا، في سبيل إيجاد طرائق العيش المشترك في عالم يتسع للجميع ويتمتع بالحقوق والواجبات نفسها.

الكلمات المفتاحية:

الهويات الفرعية - ما بعد الحداثة - حق

الإنوجاد - تحبيك السرديات - ابتكار الأنا

على الرغم مما قدمته الحداثة من التقدم الهائل في المجالات كافة، إلا إنها في الوقت نفسه، قد أفضت إلى أعظم حربين كونيتين، فضلاً عن إرسالها تراتيبات عززت مفهوم أصلاية الهوية ونقاء العرق، وهو الأمر الذي أدى إلى تغييب الهويات الفرعية واستبعادها وإقصائها وتهميشها، فجاءت ردّة فعل ما بعد الحداثة الاحتفاء بالتعددية والاختلاف والتنوع، وهو الجانب الايجابي؛ إذ منحت الهامش حق الإنوجاد ومساحة أكبر للتعبير عن هويته، إلا أنّ الجانب السلبي في الأمر أنّها خلقت مراكز جديدة في الذي سعت فيه إلى تقويض مراكز الحداثة!

وإذ لا ننكر حق الهويات الفرعية، إلا إن هذه الهويات قد تبنت في بعض الأحيان مقولات التفوق، فضلاً عن ممارسة الانعزال والاتكاء على

## تقديم

على الرغم مما قدمته الحداثة من تقدم هائل على الصعد كافة، إذ حملت فكر التنوير والتقدم، وأرست دعائمها، مؤسّسةً لحظتها التاريخية في تقدم البشرية وتطورها، إلا إن هذا التقدم الهائل لم يمنع - لا بل أسهم - في قيام أعظم حربين كونيتين راح ضحيتها ملايين البشر، وهو أسوأ ما واجهته البشرية عبر تاريخها، وشهدت الحرب العالمية الثانية أكبر عملية تطهير عرقي على أساس الحفاظ على نقاء الهوية، وأصلانيتها، وواحدتها.

وقد تعاضم وهم الهوية الأحادية البعد أو الأصلانية على نحو كبير في الفكر المتعالي الذي أرسته الحداثة، التي عمدت إلى وضع ترتيبات من مثل (العقل/ اللاعقل، الأبيض/ الأسود، الذكر/ الأنثى).

وهكذا واجهت بعض الهويات الفرعية تغييراً وإقصاءً وتهميشاً عبر ممارسات المحو الجسدي الكلي أو الجزئي والنفي والإبعاد، تحت ممارسات من مثل الفصل العنصري والتطهير العرقي والنقاء أو التفوق الهوياتي لهوية دون أخرى.

فجاءت ردّة فعل ما بعد الحداثة عنيفة إزاء ما طرحته الحداثة، فاحتفت بالتعددية والاختلاف والتنوع الهوياتي، فأعطت الهامش حق الإنوجاد، ومنحته مساحة أكبر للتعبير عن هويته والإفصاح عن ذاته، وهذا هو الجانب الإيجابي من الأمر.

إلا إن الجانب الآخر؛ أي الجانب السلبي قد أدى في بعض الأحيان إلى الاحتفاء المبالغ فيه، ومنها الهويات الفرعية، ما جعل منها في بعض الأحيان مراكز جديدة لا تختلف عن المراكز الحداثية، التي سعت ما بعد الحداثة إلى تقويضها، وإذ لا ينكر حق الهويات الفرعية بالإنوجاد، لكن مما يُنكر هي مقولات هذه الهويات بالتفوق أو الانعزال أو الإنكفاء على ادعاءات الاستبعاد، والنفي، والقهر الهوياتي مالم يكن واقعاً فعلياً.

من هنا تولدت فكرة البحث لدراسة الهويات الفرعية وحقّها في الإنوجاد، فضلاً عن تمثلات هذه الهويات في المجتمعات التي تنتمي أو توجد فيها، وزيادة على ذلك سيُعنى البحث بتحريك سرديات هذه الهويات وإبتكار الأنا لها.

أما مدار اشتغال البحث فقد اتخذنا المدونة الفلسفية، فضلاً عن السيرة الذاتية بوصفها تاريخاً محايثاً، وزيادة على ذلك نأج من المتخيل الروائي كفضاء لهذه الاشتغالات.

### بسط معرفي: الهويات الفرعية\*

لا يكاد يخلو أي بلد من بلدان العالم من وجود هويات فرعية دينية أو إثنية (عرقية) أو غيرها من وجوه الهوية التي تقوم عليها هوية ما، وتعني الهويات الفرعية تلك الهويات التي تشكل نسبة أقل قياساً إلى نسبة الهوية الأكثرية أو الهوية العامة ضمن مساحة جغرافية ما، أو في حقبة تاريخية معينة لأي بلد ما، وهذه الهويات الفرعية هي «جزء صلب

عليها»<sup>(٤)</sup>، أو استبعاد أو تهميش أو إقصاء ما سواها.

ولم يكن طغيان الأغلبية هو السبب الوحيد، بل هناك أسباب أخرى منها ما سعت إليه الأنظمة الرأسمالية المتوحشة والأصوليات البربرية، من إذكاء الفتنة وتفكيك الهوية وتشظيها لتتلاشى هويات ما كان لها أن تتلاشى، وتولد هويات لم تكن موجودة عبر سياسات الإقصاء والتهميش نفسها التي تمارسها الأغلبية، فضلاً عن بسط «الهيمنة وإعادة ترسيم الخرائط الهوياتية والقومية من جديد»<sup>(٥)</sup>.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل سعت هذه الأنظمة إلى «أثنته العالم» أي تقسيمه على أساس إثني إذ «تتعرض ثوابت الهويات في كل مكان للزعزعة والتفكيك بفعل تأثيرات العولمة التي تدوّب في الإنسان الكثير من الخصوصيات من جهة وتؤدي إلى انبثاق أخرى من جهة ثانية»<sup>(٦)</sup>.

وهذان الأمران أي ضغط الأغلبية وفرض الهيمنة من قبل بعض الأنظمة قد يؤديان إلى إيقاف الوحش النائم والمتربص في الهويات الفرعية وتحويلها من هويات مسالمة ظاهرياً إلى هويات قاتلة متوحشة بحسب ما يذهب إليه د. نادر كاظم، كما إن انبثاق الهويات القاتلة يؤجج صراع الهويات وقد يُفضي إلى غرق الحضارات بحسب أمين معلوف، مالم تدارك مسببات هذا الصراع والعمل على رأب الصدع بين نسيج الهويات التي تكوّن

من الوطن وسبب في تنوعه وغناه، وقد تكون عاشت مع الأكثرية في تآخ وتعاون»<sup>(١)</sup> من دون أية خلافات هوياتية، وعكست في كثير من الأحيان جزءاً مهماً من التناسج الثقافي لمكونات البلد الذي تكون فيه، بعيد عن التعصب والانغلاق والأنوية، إذ يمكن أن «تعايش هويات مصغرة (فرعية) مع الهوية العامة في إطار من المساواة والحرية واحترام حقوق الأغلبية من جهة وتأمين حقوق الأقلية من جهة أخرى على أساس التكامل، والتكافؤ، والمساواة؛ أي التنوع في إطار الوحدة وليس التنافر والاحتراب»<sup>(٢)</sup>.

لكن هذا التعايش وفي بلدان عدّة لم يكن من اليسير إقامته لعوامل عدّة منها ما يتعلق بالهويات الفرعية نفسها، ومنها ما يتعلق بطغيان الأغلبية (الأكثرية)، أو إيهانها ببقاء العرق وأصلانيته، وواحديته بدلاً من تعدده أو جذموريته والتوصيف الأخير بحسب تعبير جل دولوز، وأحياناً «ظّل الاتجاه السائد في الثقافة المهيمنة يميل إلى عدم احترام الخصوصيات أو التقليل من شأنها ومن حقوق الأقليات سواء أكانت قومية أو دينية أو لغوية أو غير ذلك»<sup>(٣)</sup> بل وفي أحيان أخرى اتخذت الأغلبية أقصى درجات العنف تطرفاً ودموية ضد الهويات الفرعية فضلاً عن ممارسة العنف الرمزي لوأد كل ما يمكن ان يكون سبباً في إنوجاد هذه الهويات، وتناست الأغلبية

(الأكثرية) إن «وجود هوية كبرى لا يعني هضم حقوق الهويات الصغرى... أو التغول

٤- الهويات الصاخبة والمشاغبة: وهي الهويات التي تتخذ من الطابع الشعبي أو الوطني مع نزعة قومية تحريرية.

٥- الهويات المشرعة: وهي الهويات التي صاغتها الكيانات المهيمنة والايديولوجيات بغرض فرض رؤيتها على الآخر، وتحديد علاقات القوة والسلطة وآليات الإدماج والإقصاء والمهيمنة والخضوع.

٦- الهويات المترسبة: وهي الهويات التي تتعامل مع التاريخ وسردياته المترسبة انتقائياً ويختار منه مضخماً ما يريجه عن طريق إعادة رواية التاريخ وتقديمه بصورة تمجيدية تُخدم إحياء الهوية الفرعية من جديد والحفاظ على تماسكها، وبذلك يكون الماضي حصن من لا حاضر له، وغالباً ما يحدث نوع من التباهي الإسقاطي إذ يتم اختيار صورة البطل من التاريخ أو الذي سيأتي ليبسط العدل بعد أن يحل الظلم والقهر، وفكرة المخلص البطل هي فكرة موجودة عند كثير من الطوائف والأديان.

بقي أن نذكر أن ثمة أشكال أخرى من الهويات الفرعية، إلا أن ما يعيننا في هذا البحث ما قد ذكرناه أنفاً، إذ سنتقصى أشكال ردة فعل الهويات الفرعية عبر تأكيد حقها في الإنوجاد، فضلاً عن تحييك سردياتها وابتكار الأنا، متخذين من المدونتين الفلسفية والسير ذاتية والمتخيل الروائي، مداراً لإنشغال البحث.

شعب أو مجتمع ما، عبر قبولنا التعدد والاختلاف والتباين الهوياتي، فضلاً عن اعتماد سمة الانفتاح لا الانغلاق نحو الآخر كأساس لمبدأ التعايش في هذا العالم، وهذا هو ما يقودنا الى مجتمعات خالية من التعصب والكراهية نحو الآخر.

لم تقف الهويات الفرعية مكتوفة الأيدي إزاء هذه الصراعات وبسط الهيمنة والتسلط وإلغاء خصوصياتها واستلاب حقوقها فجنحت تارة إلى المهادنة والقوة الناعمة لتحقيق مطالبها، وتارة أخرى عمدت إلى العنف والمحو الجسدي (الإقتال) لنيل حقوقها وتحقيق مكتسباتها وغيرها من الطرق، فبرزت أشكال عدّة\*\* من الهويات الفرعية والتي يمكن إجمالها على النحو الآتي<sup>(٧)</sup>: -

١- الهويات الناعمة: وهي الهويات المستأنسة والموادعة أي تلك التي بقيت صامته وكامنة، لكنها تحرص على إعادة انتاج نفسها، وتحقيق مطالبها بالطرق السلمية.

٢- الهويات الصلبة: وهي الهويات المحافظة والمتشددة ذات الطابع الديني أو الإثني، وقد تكون على المستوى المحلي أو على مستوى العالم، وهي من أخطر الهويات.

٣- الهويات المقاومة: وهي الهويات لأمم وشعوب وكيانات جرى تمزيقها واقتسامها خلافاً لإرادتها، وقد تأسست على معارضة الخضوع والإقصاء أو الاندماج في نظام عالمي يعمل على تذويبها أو ترويضها أو استئماجها.

## أولاً: حق الإنوجاد:

كنا قد أشرنا في تقديم البحث إلى أن التراتيبات التي أرسستها الحداثة قد أعلنت من مجتمعاتها، فيما غيبت مجتمعات أخرى على أساس الهوية أو العرق أو عدم الانتماء، وهو ما أدى إلى تعاضم الشعور بالتفاوت بين شعوب الأرض، بل وأفضى في كثير من الأحيان إلى صراعات فردية أو جماعية، فبتنا نشهد «حروب و صراعات كبرى وصغرى بين الحضارات وداخل كل حضارة، وكرهيات عريقة ومنفلتة من كل الأنواع والأنماط العرقية، والقومية، والطائفية، والدينية، والأقليمية، والجنوسية وغيرها، وتستوي في هذه الكراهيات بلدان العالم قاطبة من أكثرها تحضراً وديمقراطية حتى أشدها تحلفاً وكتاتورية»<sup>(٨)</sup>، لذلك باتت بعض الجماعات تتحول إلى جماعات منعزلة ومنغلقة على ذاتها أو قمعية تفرض على أفرادها شكلاً صارماً من الالتزام بقيمها ومصالحها، وتبعاً لذلك سينمو عند هؤلاء شعور قوي ومطلق بالانتماء الأحادي لجماعاتهم، وهو الأمر الذي ينطوي على الشعور بادراك لمسافة البعد والاختلاف عن الجماعات الأخرى، وقد ينمو الشعور العدائي إزاء الآخر المختلف<sup>(٩)</sup>.

إزاء ذلك كله جاءت ردة فعل الهويات الفرعية الدفاع عن حقها بالإنوجاد، وقد ظهر هذا الحق بأشكال عدّة: مرة عبر مهاجمة الآخر والتركيز على وجهه القبيح - بحسب ما ترى هذه الهويات -، ومرة عبر الاقرار بحق الآخر من دون

فيه أو إقصائه والتركيز على تقديم الذات وحقها في الإنوجاد وتحميلها عبء التهميش والإقصاء لتكون جزءاً من ذلك، كما هي الحال في دور الآخر، ونجد ذلك بوضوح في المدونة الفلسفية للمفكرة حنة أرنت<sup>\*\*\*</sup>، وقد انشطر دفاع حنة أرنت عن هويتها الفرعية بل وكثير من الهويات الفرعية، إلى طريقتين:

الأمبريالية والأنظمة الشمولية: إذ حتمت أرنت كلاً من الأمبريالية والأنظمة الشمولية مسؤولية الإبادة العنصرية والتمييز الهوياتي القائم على التفوق العرقي وعلى بسط السلطة والهيمنة والسيطرة على الموارد الطبيعية للشعوب أو التوسع الاستعماري، ومعظم هذه الأنظمة نفت الهويات المغايرة لها إما لأسباب اقتصادية أو سياسية، فذروة الصليبية للحكومة البريطانية لأفريقيا الجنوبية كانت في الواقع مدفوعة أساساً للمصالح الاقتصادية<sup>(١٠)</sup>، أما عن «معاداة السامية» في أوروبا فهي لأسباب سياسية أكثر منها اقتصادية<sup>(١١)</sup>، وهكذا فإن أرنت ترد أسباب الإقصاء والنفي والمحو من قبل الآخر، إنها هي لأسباب سياسية أو اقتصادية، وليست أسباباً تتعلق بالهوية، ليس هذا فحسب فهي ترى أيضاً أن مثل هذه السياسات هي لغرض السلطة والهيمنة، وما النفي والإقصاء والتهميش للهويات الفرعية إلا من أجل ذلك.

ولذلك فهي لم تجد في (أينمان)، الضابط النازي الذي أسهم في «الهولوكوست: محرقة اليهود»، إلا شكلاً من أشكال تفاهة الشر

بدلاً من المواجهة أو المقاومة متخذة من مسار "الهويات الناعمة" أساساً لتحقيق حق الإنوجاد بعيداً عن فرض السلطة والأنظمة الاستبدادية والشمولية، وبعيداً عن الاحتراب مع الآخر، أو محاربة الذات لذاتها، وتقترح أنموذج العيش بعيداً عن الإنغلاق والأنوية والخوف من الانفتاح نحو الآخر، ويعتمد هذا الأنموذج على (الصدقة) كأساس لحق الإنوجاد والعيش مع الآخر، فالصدقة تجعل من الذات والآخر: "تجعل منها من جديد كلاً... وتعيد بناء الهوية التي تجعلها يتحدثون بصوت واحد"<sup>(١٤)</sup>.

لا يتعد د. نادر كاظم\*\*\* عن طروحات آرنت عن حق الإنوجاد للهوية، غير انه يطرح فكرة الهويات عامة وليست الهويات الفرعية فحسب، عبر مفاهيم الأمة والهوية، والآخر، ويطرح تساؤلات من مثل: هل أن الأمة (التي تتشكل من مجموعة هويات) هي صياغة متخيلة، أنها ظاهرة طبيعية قائمة بذاتها وتتجلى في مجموعات ذات سمات ثابتة وقواسم أساسية مشتركة، أنها صناعة بشرية ونتاج عمليات إنشاء وتشكيل وبناء وحتى اختراع وتلفيق يقوم بها البشر في سياقات تاريخية معينة؟<sup>(١٥)</sup>.

وقبل أن يجيب د. نادر كاظم عن هذه الأسئلة، يحلل التصورات عن تشكل الهوية، انطلاقاً من الذات قبل الآخر، وهو بذلك يلتقي مع حنة آرنت في قمع الهوية وانغلاقها وعدم انفتاحها على الآخر، لكنه يختلف عنها بطرح طرائق الانتفاء

بحسب توصيفها، فأيجان لم يقتل من أجل القتل، وإنما قام بتنفيذ ما أملتته السلطة والنظام الشمولي النازي المسؤول الأول عن هذه المحرقة - بحسب توصيفها -، فالانظمة الاستبدادية هي مصدر الشرور جميعاً الذي يمارس على الهويات المختلفة أو المغايرة له.

٢- الذات: تكاد أن تكون آرنت من المفكرين القلائل الذين يُحمَلون الذات السبب في قمع هوية الذات الفرعية أو تهميشها أو إقصائها، إذ يتم ذلك عبر العيش في العزلة والحرص على عدم الاختلاط أو الاندماج مع المجتمعات التي تعيش فيها، وقد تعيش أحياناً حالة من الإنغلاق وعدم الانفتاح على الآخر، وهذا ما تؤكده آرنت بالقول: ((انزعج يهود البلاط سابقاً ويهود عالم المصارف والثورة الصناعية والتوسع الإمبريالي، وشجعوا اليهود على عدم الاندماج (مع مجتمعاتهم) وعلى البقاء في كنف طوائف منغلقة على أساس إنهم يمثلون (شعب الله المختار)، وأقاموا عدداً من الجمعيات الخيرية لدفعهم على الهجرة))<sup>(١٦)</sup>، ليس هذا فحسب، بل أكثر من ذلك حَمَلَتْ آرنت السلطة الكهنوتية والمجالس اليهودية المسؤولة عمّا جرى للطائفة اليهودية في أوروبا (ألمانيا تحديداً) منها (الهولوكوست: المحرقة)، وَحَمَلَتْ هذه المجالس مسؤولية الإبادة شبة الكاملة للجماعات اليهودية وقادتها<sup>(١٧)</sup>.

هكذا تقدم وتنتقد آرنت محاربة حق الإنوجاد عبر أكثر من مسرب، وتقترح حلاً ينجح إلى السلم

وتشظيها، إذا ما اعتمدت أحد وجوه الهوية دون غيره أساساً لارتباطها بالجماعة التي تسعى إلى الارتباط بها.

أما الحل الذي يقدمه د. نادر كاظم فيتمثل بتجاوز إشكالية الانتفاء الهوياتي، إذ لا يمكن أن يتحدد الانتفاء لهوية ما بحكم الولادة في مكان جغرافي محدد أو الانتفاء لطائفة أو عرق بعينه أو لأي وجه من وجوه الهوية، بل هي الرغبة في التعايش السلمي وإيجاد المشتركات الإنسانية ورغبة العيش المشترك، ويتخذ من رواية غورا للكاتب الهندي رابندرانات طاغور<sup>(١٩)</sup>، أنموذجاً لتوضيح طروحاته عن الهوية، فغورا وتعني (الاشقر) من أصول أيرلندية وبريطانية من حيث الدم، عاش في الهند وكان يظن أن ولادته هندوسية برهمانية، وكان يكره المستعمرين البريطانيين لأنهم استعمروا بلاده (الهند)، ويكره أيضاً كل ما هو غير هندوسي من مسلمين أو مسيحي، وعند اكتشافه حقيقة ودلته كأيرلندي، سيسهر بإشكالية هويته من حيث الولادة والانتفاء، والاعتناق، وما يؤمن به، ففتهاوى وجوه الهوية التي تؤدي إلى الصراع، ليتمسك بإنسانيته واثباته الوطني إلى كل الهند بكل طوائفها من هندوس ومسلمين ومسيحي، وغيرها من الانتفاءات الوطنية، تاركاً أصله الأيرلندي. وهكذا يرتبط حق الإنوجاد في البعد الإنساني بعيداً عن الانتفاءات التي قد تكون هشة للهوية.

لا تختلف المدونة السردية وتحديد المتخيل الروائي من طرح قضايا الهويات الفرعية وحققها

وسبل التعايش أو الصراع بين الهويات.

يذهب د. نادر كاظم إلى أن لكل شخص مجموعة من الانتفاءات المتعايشة أو التي تتصارع فيما بينها على أسس عدّة مثل الدين، واللغة، والانتفاء الايديولوجي، إلا أن كثير من الناس (الذات) تضع هذه الانتفاءات في سلم ترانبي يبدأ بما يشعرون ويعتقدون بأنه أساس هويتهم دون بقية الانتفاءات الأخرى<sup>(١٦)</sup>، أما لماذا تعتمد الذات على هذا الانتفاء أو ذلك فهو مسألة معقدة بحسب توصيف د. نادر كاظم قد ترتبط بالتهديد<sup>(١٧)</sup>، أو ما يطلق عليه زيغمنت باومان (الخوف الوهمي)، فإذا شعروا بأنهم مهددون في عقيدتهم التفوا حول الانتفاء الديني وتركوا بقية الانتفاءات، وكذا الحال مع بقية الانتفاءات كالعرقية مثلاً متناسين بقية المشتركات التي تجمعهم مع الهويات الأخرى، وأن تأسيس الهوية على انتفاء حصري إلى طائفة معينة أو لغة أو غيرها من أوجه الهوية هو بداية تفكك الجماعة الوطنية، كما قد يعني إعادة ترسيم حدود الإنتفاء، فيصبح ابن طائفة معينة في أي مكان من العالم أقرب وأهم وأولى بالنصرة والتعاطف من أبناء الجماعة الوطنية<sup>(١٨)</sup>، وبذلك تفقد الهوية خصوصيتها وتعمل على تفككها وتشظيها؛ لتكون بذلك صورة من صور الهوية المتشظية أو الهوية الصلبة التي تكون ذات الطابع المتشدد على مستوى العالم، لا على مستوى محلي فقط.

ووفقاً لتصورات وطروحات د. نادر كاظم، فإن الهويات الفرعية قد تحمل نواة تفككها

يطرح وجود بيكاس إشكالية تتمثل في أحد أوجهها بكونه ظاهرة غير طبيعية بالنسبة لوادية وتقع خارج سياق المنطق (بولد ويكبر ويشيخ في يوم واحد)، والوجه الآخر هو حيرة بيكاس لمعنى وجوده، لا بمعنى وجوده الفعلي أو عدد السنوات التي يعيشها، بل ما يعنيه أن يجد معنى لوجوده، فدورة الحياة التي يعيشها (ولادته، صباه، شبابه، ولادة ابنه بيكاس الثاني) هي الدورة ذاتها لكل البشر، أي حق الإنوجاد، لكنها في الوقت نفسه هي ليست ككل البشر، فحياته تنطوي على الفناء (الموت) والولادة في آن معاً، وبمعنى آخر إن تحقق وجوده هو فناءه في الوقت نفسه، إنه السؤال القائم على خلق الحيرة، وطرح التساؤلات كمعنى الوجود وماهيته وكيفية تحقيقه.

إن سليم بركات وعبر شخصية بيكاس يطرح تاريخ الكورد تحييلياً ورمزياً، مثلما يطرح حيرة وجودهم وتشظي هويتهم، فضلاً عن حقهم في الإنوجاد كبقية القوميات - بحسب ما أرادت الرواية طرحه -، ليصبح وجود بيكاس مؤشراً دليلاً لوجود الكورد، يقول الراوي في نهاية الرواية "من عسى يكون واثقاً من خطوته التالية؟ السلام على حالها في الزقاق المغلق... ظلال الرؤوس... كلها على حالها... كأنها لن يوقظ شي شيئاً"<sup>(٢١)</sup>. هكذا تبقى حيرة بيكاس (حيرة الكورد) ولا شيء يلوح في الأفق ليبدد هذه الحيرة.

في الإنوجاد، أو طرح إشكالية وجودها، وقد ظهر ذلك في الرواية الأفريقية التي جسدت التمييز العنصري والتباين العرقي بين المستعمر والمستعمَر، وكذلك في بعض الروايات الهندية التي جسدت اختلاف الهوية الدينية والاقتتال الديني بين الهندوس والمسلمين، أما عربياً فقد عرضت الرواية المغاربية قضية الأمازيغ والنزاع الهوياتي وحق استعمال اللغة وغيرها من صور حق الإنوجاد، وهو الأمر الذي يتكرر عند كثير من الروائيين في بلدان أخرى؛ ولاسيما الروائيون من ذوي الأصول الكوردية ومنهم سليم بركات وجان دوست وغيرهم.\*\*\*\*\*

تقوم رواية فقهاء الظلام لسليم بركات على حكاية الملا بيناف بن كوجري وزوجته برينا وأبنائه الخمسة، وهي أسرة كردية تسكن في شمالي سوريا على الحدود التركية، وهي إشارة إلى الهوية المتشظية، والمقاومة في آن معاً، أي تلك الهويات التي جرى تمزيقها واقتسامها خلافاً لإرادتها. تأتي ولادة الأبن بيكاس (ويعني الوحيد الذي ليس له أحد) ابن الملا بيناف، الذي يولد ويكبر ويتزوج ابنة عمه سينم، ويشيخ ويختفي في يوم واحد، تاركاً أسرته تعيش محنة اختفائه، وهي الحيرة التي يواجهها بيكاس مثلما تواجهها أسرته، إذ يقول "حيرتي حيرتان، حيرتكم بي وحيرتي بكم... انظروا قد أصبح في الأربعين عصراً، وفي الخمسين مساء... والليل... إنها محنة، فتهياً لذلك فقط"<sup>(٢٠)</sup>.

## ثانياً: تحييك السرديات.

يطلق صموئيل هنتنغتون مصطلح (اختراع العرقية)، إذ أصبحت بعض الجماعات تكتشف هويات جديدة لكنها في الحقيقة هويات قديمة.

لكن الأمر لم يتوقف عند ما وصفه هنتنغتون بحدود اكتشاف الهويات، بل راحت كثير من هذه الجماعات تحتزع السرديات الخاصة بالهوية، وأزيد من ذلك عمدت إلى تزييف التاريخ الخاص بهوياتها، أو المبالغة في حوادثه الخاصة بها، وإن لم يكن ذلك فعلى أقل تقدير البحث في متون كتب التاريخ عمّا يعزز وجودها ويدعمه، بل وأحياناً تعمل على تضخيم هذه الحوادث، وهذه الأمور قد ضاعفت حدة الاختلافات والتباين الهوياتي، وكأن هذه الجماعات قد أصيبت «بالعمى الأخلاقي».

وَيُرَجَّعُ باومان السبب وراء ذلك كله إلى التصورات القائمة على اختراع العدو الوهمي والخوف منه، وهذا الخوف يغذي الكراهية ويستشري عدم اليقين وعدم الأمان وانتشار نظرية المؤامرة<sup>(٢٢)</sup>، التي تعتقد بها بعض الجماعات باستهداف هوياتها.

لم يكن باومان هو الوحيد في ردّ اختراع السرديات الخاصة بالهوية إلى العدو الوهمي والخوف منه والإصابة بالعمى الأخلاقي، بل يذهب إلى ذلك د. عبد الغني عماد؛ إذ يقول: «إن العجز عن التعرف إلى العدو الحقيقي وليس

الوهمي الكامن وليس الظاهر هو الذي يؤدي بتغييرات الهوية نحو الانحراف وتبلور وعي هوياتي مزيف ومؤدلج ومصاب بالعطب البنوي، وبالعمى السسيولوجي»<sup>(٢٣)</sup> ليس هذا فحسب، بل يزيد د. عبد الغني عماد ان الهويات في حالة انبائها المؤدلج ينظر إلى العدو بوصفه جزءاً من الحياة نفسها، وهذا العدو يصبح دائماً هو الآخر، ويصبح وجوده ضرورة حتى لو كان على شكل أشباح وأوهام مصطنعة<sup>(٢٤)</sup>؛ أي تحييك واصطناع، لأنه والحالة هذه سيزيد من أسس التضامن بين الجماعة لمواجهة العدو المفترض.

تمثل تحييك السرديات في المدونة الفلسفية والاجتماعية وكذا الحال مع المدونة السير ذاتية، بطريقتين متباينتين وهما: إعادة تقديم الذات، وإعادة تقديم الذات وتسقيط الآخر ونفيه.

### ١ - إعادة تقديم الذات:

تذهب المدونة الفلسفية والاجتماعية لزيغumont باومان (عالم الاجتماع ذو الأصول اليهودية)، إلى إعادة كشف مناطق التاريخ، ولاسيما الحقبة التاريخية للحدثة وعلاقتها بالهولوكوست (محرقة اليهود)، إذ يحاكم باومان الحدثة بوصفها عصر الأنوار وسلوكها الذي يناقض ذلك، ويتساءل كيف يكون للحدثة أكثر من وجه؟!، كيف يمكن ان يكون النشيد الأوري «إننا نختلف لكننا متشابهون، منفصلون لكننا قوة لا نفصل،

وعند معاينة الأسباب التي ذكرها باومان، فإننا سنلاحظ وبشكل جلي إعادة تقديم الذات عبر محكيات التاريخ وتحيك سردياته المتعلقة بالذات وتاريخها بإزاء الآخر، فهي المستهدفة من قبل الآخر عبر تاريخ العداء الطويل، وهذا ما يؤكد بالقول: «فقد استمرت معاداة اليهود بلا هوادة»<sup>(٢٩)</sup> ولوقت طويل وباتت حالة شعورية مترسبة.

تعد السيرة الذاتية شكلاً من أشكال التاريخ الحديث أو الموازي له، إذ إن صاحب السيرة لا بد وأن يمر على محطات التاريخ التي مرّت حياته بها، وكذا الحال بالنسبة للسيرة الغيرية والرسائل أو المذكرات وغيرها من أشكال الكتابة، وصحيح أن السيرة الذاتية ترتبط بميثاق المصادقية فضلاً عن الوثوقية في نصوصها مع القارئ، أو ما يفترض أنها تحافظ على ذلك إلا إنها مع ذلك لا تخلّ من وجهة نظر صاحب السيرة مهما بدا موضوعياً تجتهد سرد الوقائع التاريخية التي مرت به أو كتابة تاريخه الخاص، ولا سيما في بعض تلك السير الذاتية التي تكون الهوية الفرعية لصاحب السيرة هي إحدى مدارات إنشغال هذه السيرة، إذ قد «يستحضر من التاريخ وسردياته ومن النصوص وتأويلاتها ما يتناسب ومهمة تحصيل الهوية وتصلبها، وبذلك تصبح أكثر انغلاقاً ودوغائية في مواجهة الآخر»<sup>(٣٠)</sup>، أي إن سارد السيرة سيعيد تحييك سرديات التاريخ لا على وفق رؤيته فحسب، بل

ومستقلون لكننا مترابطون»<sup>(٢٥)</sup>، ويتساءل إذا كانت أوربا كذلك، فلماذا يثير وجود الاختلاف الهوياتي قلقاً خطيراً وخلافات ساخنة تصل حد التغيب والإقصاء والنفي والمحو الجسدي الكلي الذي تمثل بالحرقة، ولماذا هذا الاستعلاء العرقي الذي أودى لذلك، وتعبير آخر لماذا «معاداة اليهود»، ومن ثم محوهم الجسدي؟

يردّ باومان ذلك إلى أسباب عدّة، لعل أولها هو الخوف المرضي من الآخر وصورة من صور العنصرية<sup>(٢٦)</sup> الذي يسيطر على الأنظمة الشمولية الإستبدادية، فالخوف هو ما يدفعها إلى العنف ضد الآخر لحماية أنظمتها والمحافظة عليها، ومن ثم بسط سيطرتها وتثبيت دعائم سلطتها والسبب الثاني للمعاداة هو (الترسب الثقافي)، ويعني به إن مشاعر العداء ترسبت في الوعي الشعبي لدى هذه الدول وهو أن «بعض الملامح البشرية أو الأنماط السلوكية المشينة أو الغريبة أو القبيحة أصبحت ترتبط بالوعي الشعبي بالسلوك اليهودي»<sup>(٢٧)</sup>، وهكذا صارت «معاداة اليهود» جزءاً من الوعي الشعبي الذي امتد لسنوات فترسب في هذا الوعي. أما السبب الثالث فهو ما يعزوه باومان إلى (الهندسة الاجتماعية) إذ يذهب إلى أن «الأشكال المتطورة الخاصة بالمعاداة لا تكمن بالأفعال العدوانية أو العدائية بقدر ما يمكن في العلاقة الفريدة بخطط الهندسة الاجتماعية للدولة الحديثة وطموحاتها... أي علاقة الأشكال العنصرية المختلفة»<sup>(٢٨)</sup>.

وتنتهي حياته بالموت، ولم يقدم له شيلمان ما يقابل معرفه!!، وهذا جزء من تسقيط الآخر الذي لا يستحق الحياة!!.

يقدم شيلمان صورتين متناقضتين تماماً، وهما: أ- الذات وهي رمز التفوق، والتي يقع عليها الظلم من دون أن تبدي أية ردة فعل، فهي محور الخير المطلق، ب- الآخر الغيبي المتعالي الظالم والمعتدي، وهو وهو محور الشر المطلق.

يقول شيلمان واصفاً العزل المفروض عليهم وطريقة تهريب الأطفال للطعام وما يحتاجه سكان الغيتو عبر فتحات السياج المحيط به: «الفترة الممتدة من بعد الظهر وحتى المساء هي الأفضل للتهريب، إذ يكون أفراد الشرطة وقد أضناهم صباح قضوه في ملء جيوبهم بالمال... وما أن تدخل البضاعة المهربة من فتحات السياج حتى يحملها الأطفال على أكتافهم مسرعين، وقد أنحنن قاماتهم وترنحوها تحت وطأة وزنها الكبير»<sup>(٣١)</sup>، وهكذا يستمر السارد في توصيف وطأة الظلم وفرض العزلة عليهم: «كان الغيتو يضيق شارعاً فشارعاً، فقد كان الألمان يقلصون مساحته»<sup>(٣٢)</sup> وبهذا يتحولون الى هويات منزلة قسرياً، لكن هذا الانعزال لم يمنع من إظهار السارد صورة اليهودي المتفوق النخبوي، فهو الموسيقي والنخبة الراقية التي تستمتع للموسيقى، وهو الرسام والطبيب وغيرهم من النخب: «جاءت نخبة المثقفين اليهود

أزيد من ذلك سيعمد إلى تسقيط الآخر عن طريق سردياته تلك، ولينتج بذلك شكلاً من أشكال الهوية الصلبة أي المحافظة والمتشددة في آن معاً.

في السيرة الذاتية لفلاديسلاف شيلمان (العازف والموسيقي البولندي من أصول يهودية)، يسرد تجربته تحت الاحتلال النازي لبولندا بوصفه أحد الهويات الفرعية فيها، وصحيح إن السيرة تجمع بين المواقف الإنسانية ومدى التكتاف بين يهود بولندا أثناء الاحتلال الألماني وعزلتهم داخل (الغيتو) واحاطتهم بسياج عازل، إلا إنها في الوقت نفسه تصور ضراوة الآخر ووجهه القبيح إزاء المختلف. وعلى مدى صفحات السيرة الممتدة على (٢٢٨) صفحة والتي تحمل اسم (عازف البيانو)، فإننا سنشهد ذلك كله، وزيادة على ذلك سيعرض صاحب السيرة وأد الهويات الفرعية وحجم الكراهية لها، والسعي إلى عزلها وممارسة أبشع صور التعذيب والمحو الجسدي الكلي وغيرها من صور القمع والإذلال - بحسب سرديات صاحب السيرة -، فبدت الذات مهمشة مقصية وتعرض لأبشع أنواع القهر والاضطهاد وبأشكال عدّة ليس أقلها الهولوكوست (محرقة اليهود) أو سجن ومعسكر أو شفيتر الذي سيق إليه اليهود، وبإزاء ذلك كله لم يظهر في السيرة في صورة الخير سوى الضابط الألماني!! الذي أنقذ حياة فلاديسلاف شيلمان من القتل، ووفر له الأمن والأمان، لينتهي الضابط، فيما بعد إلى الأسر على أيدي الروس

وأصبح هذا الموضوع يشكل مداراً لانشغال النص الروائي الذي راح يمارس البحث والتنقيب في هذا الموضوع ويضع أحياناً التصورات عنه على وفق رؤية الكاتب التي تحكم الكون الروائي، وتعكس أحياناً أخرى وعيه الحاد بالهوية سواء أكانت دينية أم عرقية أم غيرها، وقد تنوعت هذه الرؤى ما بين الانفتاح على هوية الآخر تارة، فيها عكست بعض هذه النصوص وعياً ودوغمائياً (منغلقاً) بالهوية تارة أخرى، وتارة ثالثة سعت إلى ابتكار الأنا الخاص بهوية ما، سواء عبر تحبيك السرديات على النحو الذي ذكرناه في الفقرة السابقة، أو على شكل تضخيم حجم الأنا وتقديم صورة عنها بحسب ما يراه منتج النص، أو تقديم أنا محايدة في بعض الأحيان.

ولقد ظهر لنا شكلان من ابتكار الأنا سواء في المدونة الفلسفية أو النصوص الروائية وهما: الأنا المحايدة على النحو الذي ذكرناه عند حنة أرنت، والأنا المتضخمة على حساب الآخر، والمقهورة في الوقت نفسه، وستقف عند أنموذجين منهما:

في رواية (يا مريم) للروائي سنان إنطوان (وهو روائي عراقي من أصول مسيحية)، يستعيد حادثة كنيسة النجاة في بغداد التي تعرضت إلى هجوم أرهابي راح ضحيته عدد من الأخوة المسيحيين، ويتخذ من هذه الحادثة أساساً لعرض

للمستماع لعزفي... وكان يعمل على انجاز سلسلة بديعة من اللوحات... كان هنالك ضيف آخر طيب وهو من أطف الناس الذين قابلتهم»<sup>(٣٣)</sup>. في مقابل صورة الذات، هناك الآخر المختلف هوية وهو محور الشر ورمز الموت، يقول السارد: «كانت هناك غرف الغاز... وارتشاء الألمان لإنقاذ أرواح اليهود... لكنه كان انقذاً مؤقتاً فقط حتى يموتوا بوسيلة أخرى فيما بعد»<sup>(٣٤)</sup>، فالموت هو الحل الوحيد الذي يلجأ إليه الآخر بسبب من استعلائه واختلاف الهوية، يقول السارد: «أنتم اليهود... هذه العبارة تقر بأصلنا العرقي... وقبل أن يرتد إلينا طرفنا اعتقلنا وأدارونا بحيث صرنا قبالة جدار المبنى... وخطأ أفراد الشرطة إلى الورا وبدؤوا نزع مسامير الأمان في بنادقهم»<sup>(٣٥)</sup>. وصحيح إنه قد يقع ظلم أصحاب هويات الأكثرية بحق الهويات الفرعية، إلا أن الأخيرة قد بالغت في بعض الأحيان في تحبيك سردياتها وتقديمها في المدونة السير ذاتية على النحو الذي وجدناه في السيرة الذاتية لشبيلمان، فانثناء السرديات الخاصة بالذات والتركيز عليها وتضخيمها، قد يؤدي إلى سرديات مظلمة ومتوهمة بعيدة عن الرصد الموضوعي لهذه السرديات.

### ثالثاً» ابتكار الأنا

لقد شهد النص الروائي المعاصر ولا سيما الرواية العراقية حضوراً لافتاً لموضوع الهوية،

سورة مريم ووصل إلى فأجاءها المخاض ...  
فنادى من تحتها ألا تحزني ... وهزني إليك بجذع  
النخلة تساقط عليك رطباً جنياً، فأخذت حنة  
تدمدم هاي قصة النخلة منين جابها محمد؟ ماكو  
هكّي شي بالإنجيل ... فيجيب يوسف: أكو بس  
مو بالإنجيل اللي أنتي تقرين بينو»<sup>(٣٧)</sup>. لا يقتصر  
الأمر على تفكيك خطاب الآخر المقدس، بل إن  
هذا الآخر يتحمل وزر التغييب والتهميش في  
آن معاً: «الاسلام يريدونا ... علمود البلد يظل  
بس الهم»<sup>(٣٨)</sup>، وكذلك قول السارد: «هو دين انتشر  
بالسيف ... شتتوقع يعني»<sup>(٣٩)</sup>.

ان خطاب الأنسا القائم على تكرار الاختلاف  
الهوياتي وعدم مدّ الجسور يوسع الهوة ما بين هذه  
الهويات، وصحيح إن مهمة الروائي هو الكشف  
عن التاريخ وإعادة مساءلته أو ترميم الذاكرة،  
إلا إن ذلك لا يعني تسريد الآخر بازاء الأنسا أو  
الذات، وتضخيمها أو تجسيد العنف بحقها لأن  
ذلك سيؤدي حتماً إلى نسف سبل التعايش المشترك  
في البلدان التي تجمع مكونات هوياتية عدّة.

الأنموذج الآخر هو رواية (الصور على  
الحائط) لتسيونيت فتال (وهي روائية من أصول  
عراقية يهودية). تدور أحداث الرواية في بغداد  
في النصف الأول من القرن الماضي، حيث تعيش  
نورية الشخصية الرئيسة في الرواية، فنشهد فترات  
من حياتها خلال تلك الحقبة، ونود أن نشير هنا إلى

الأنسا المقهورة (أنا الهوية الفرعية) فضلاً عن  
عرض الأنسا وأحقيتها التاريخية والدينية في  
الوطن، لكنها لا تحصل على هذا الحق بسبب  
الاجحاف والمحو الجسدي جراء القتل على الهوية.

تدور أحداث الرواية حول أسرة مسيحية في  
بغداد، تحمل رؤيتين متناقضتين، يوسف المتشبث  
بالانتماء للوطن وعدم رغبته بالمغادرة على الرغم  
من ظروف الاقتتال الطائفي، ومها الشابة التي  
فقدت طفلها جراء هذا الاقتتال فتقرر الهجرة  
من وطن تعتقد أنه لا يريد لها، تقول مها: «اسمي  
مها جورج حداد... أنا طالبة بكلية الطب بجامعة  
بغداد، كنت واحدة من الرهائن اللذين كانوا  
بكنيسة سيدة النجاة، يوم الهجوم الإرهابي ... أول  
ما دخلوا قاموا يضربون طلقات ... وأول شخص  
قتلوه قدام عيني هو الشساس ... أبونا وسيم وقف  
قريب المذبح ... قال اتركوا المصلين وشتريدون  
انطيكم ... ضربوا طلقة براسه»<sup>(٣٦)</sup>، وإذا كان  
هذا المقطع يعكس حجم القتل الذي مورس  
على أيدي الإرهابين، ما يعكس القهر والتغييب  
بحق الهويات الفرعية، فإنه وفي مواضع كثيرة من  
الرواية سيحمل الآخر مسؤولية هذا التغييب عبر  
التشكيك والمواجهة بل وأكثر من ذلك عبر تفكيك  
سردياته، أو خطابه المقدس، من ذلك الحوار الذي  
يدور بين حنة (الأنسا ذات الخطاب المتطرف)  
وبين يوسف (الأنسا ذات الخطاب المعتدل): «كنا  
نجلس أمام التلفزيون ... وكان عبد الباسط يجود

لا تكتفِ الرواية بالتشديد البنيوي لتاريخ الطائفة وإعادة تقديمه، بل تواصل ابتكارها إلى الأنا أو الذات وبمواصفات تكاد أن تكون مثالية، إذ تحمل صفة الجمال الجسدي فضلاً عن الطبيعة المسالمة، والمنزلة في كثير من الأحيان، والمحبة لفعل الخير من أجل الجميع، وكل ذلك تجسد في معظم شخصيات الرواية، حتى وإن كان يحمل صفة الذبّاح مثل شخصية (رحمو الذبّاح)، وإن الآخر هو الشر المطلق: «شاهدتُ رحمو الذبّاح يتمرغ في الأرض ومجموعة من الشباب المسلمين يضرّبونه ... وجد مثير رحمو ممدداً على الأرض وحوله بعض الشباب المسلمين الذين أهانوه وسبّوه ليهوديته، فضرب أحد الشباب، وبعدها فرّ البقية هاربين»<sup>(٤١)</sup>، ويحمل النصّ معانٍ كثيرة ألصقت بالآخر وهي الجبن الذي تمثل مجموعة إزاء واحد (رحمو)، ثم وليا للمفارقة سيفر هؤلاء وهم مجموعة من ضربة واحد (مثير)!!، أما الأنا أو الذات فهي تحمل كل معاني البطولة مثلما تحمل في الوقت نفسه السلام والخير إزاء اعتداءات الآخر المتتالية.

وإذا كانت رواية (يامريم) قد انتهت برغبة مها في الهجرة للظروف التي شهدتها في بلد ما عاد يقبلها - بحسب ما أرادت الرواية قوله -، فإن الحال هي نفسها في رواية (الصور على الحائط) وإن كان التهجير قسرياً، إلا إن الشعور الذي كان يلازم كثير من الشخصيات هو عدم الشعور بالانتماء لبلد

أن روايات اليهود العراقيين، ومنهم سمير نقاش، والموج بيهار وغيرهم، دارت معظم رواياتهم حول الأحياء اليهودية القديمة في بغداد، وقد جسّدوا الحنين لهذه الأحياء بعد تهجيرهم القسري أو تهجير أسرهم من العراق، كذلك فإن معظم الروائيين قد ركزوا على قانون سحب الجنسية وحادثه الفرهود بحق اليهود العراقيين التي حصلت في أربعينات القرن الماضي، إلا إن كثير منهم قد طرح هاتين الحادتين بوصفهما استهدافاً هوياتياً للطائفة اليهودية، أكثر من كونه قراراً سياسياً، جاء نتيجة لظروف قامت به حكومات ولأغراض سياسية قد لا تتعلق بالهوية بالدرجة الأساس.

تبحر توسينيت فتّال مع شخصيتها الرئيسة (نورية)، إلى أحياء بغداد القديمة وتحديدًا المناطق التي ضمت اليهود وأحياءهم، وكذلك العادات والتقاليد واللغة وطبيعة العلاقات التي تجمع بينهم، أي جميع ما يميز هذه الطائفة، لكنها ومن جانب آخر فإن الرواية قد عكست حالة العداء الهوياتي تجاه الطائفة ولاسيما المسلمين!! بل وراحت تؤصل لهذا العداء عبر التاريخ ومنذ عهد نبوخذ نصر!! تقول الساردة: «فأجدادنا الذين جاؤوا إلى هنا مع المنفيين إلى بابل والملك يهوياخين قبل ألفين وخمسمائة عام ... عندما سبى نبوخذ نصر معظم اليهود من أورشليم إلى مسقط رأس أبينا إبراهيم»<sup>(٤٢)</sup>.

## خاتمة

لا يزيد في هذه الخاتمة أن نعيد أو نكرر أهم ما توصل إليه البحث، فقد انبثت النتائج بين فقراته، لكن ما نريد أن نذكره هنا هو ما السبيل إلى إيجاد سبل العيش المشترك؟، وما الذي اقترحه المفكرون لذلك؟، لنجعله جزءاً من متبنياتنا من أجل عالم أفضل للعيش فيه، ومثلما أن على هذه الأرض ما يستحق الحياة على حد تعبير محمود درويش فإن على هذه الأرض متسع للجميع، فلم تجنح الهويات بعامة إلى الاقصاء أو التغيب، ولم الأصرار على نقاء الهوية وأصلانيتها وواحديتها؟، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم تعتمد الهويات الفرعية إلى تحبيك سرديتها التي تزيدها عزلة، وتبتكر أنوأة متضخمة ولا تمارس الانفتاح على الآخر وبذلك تزداد الهوة بين مختلف الهويات.

لعل أهم ما قدمه المفكرون من أجل عالم عيش مشترك هو اعتماد الصداقة كمبدأ مثلما اقترحه حنة آرنت، الصداقة بمفهومها الأرحب وبكل مقومات الصداقة الحقيقية، أما د نادر كاظم فيذهب إلى اعتماد الإنسانية كأساس للتعايش وعدم الاتكاء على وجه واحد من وجوه الهوية وجعله أساساً للخلاف الهوياتي.

أما باومان فيقترح الحوار كمبدأ، إذ إن النقاش سيؤدي إلى الفهم، والفهم ينطوي على التوصل إلى اتفاق وإيجاد لغة مشتركة عبر الحوار، وكل لغة مشتركة تتشكل أثناء عملية الفهم، أي فهم الآخر،

ما عاد يقبلهم - وبحسب - ما أرادت الرواية قوله أيضاً -، ويعبر عن ذلك حيسم بعد عودته مصاباً بالسلس ليخبر والدته نورية: «أرسلونا لقمع التمرد ضد العراق، ولم أستطع فهم إلى أي درجة قد يكون الإنسان قاسياً... الذين يعيشون في الأرض نفسها بجوار بعضهم... وأنا الذي اعتقدت أنه لا فرق بين اليهود والمسلمين وبين الأكراد والعرب، وأنا جميعاً أبناء العراق... أبناء دجله والفرات... اكتشفت إننا نحن اليهود لن نكون أبداً مساوين لهم... لأنهم سينظرون إلينا دائماً من أعلى... إلى من هو مختلف عنهم»<sup>(٤٢)</sup>.

إن ما يؤشر من خلال المثال الذي أوردناه هو لا الشعور بعدم الأتناء فحسب، بل الكراهية وروح العداء بين الهويات الفرعية والهوية العامة، مع عدم الالتفاف إلى مشتركات العيش معاً، فضلاً عن التركيز على جانب أحادي للهوية وهي هنا الهوية الدينية متناسين الوجوه الأخرى لها، والانتفاء الوطني لهذه الهويات.

فإن الآخر متعلق بالذات ولا فكاك منه مثلما يرى ميشيل فوكو، وزيادة على ذلك اعتماد الاعتراف كمبدأ لأنه يفضي إلى (العيش - في - العالم) و (العيش - مع - الآخرين) بانسجام وتوافق، ويمكن أن يتم الاعتراف عبر التسامح والصفح والاحترام مثلما يعبر عن ذلك جاك دريدا وحنة أرنت، ويمكن أن يتم عبر الحب مثلما هي الحال عند إيمانويل ليفيناس، أو عبر الحب والحق أي العلاقة القانونية والتضامن مثلما هي الحال عند أكسل هونيت.

الاعتراف بالمحنة لا بوصفها عاملاً سلبياً، بل بوصفها نقيض النقاء واستعلاء القائلين به، فما نحن إلا حصيلة خلاسية من أشكال الهوية ووجوهها.

أخيراً نختم بمقولة باومان: إن الهوية تتأرجح بين حلم وكابوس، وليس هناك سبيل لمعرفة متى يتحول الحلم إلى كابوس، فليَمَ نجعل منها كابوساً بدلاً من نجعلها حلماً نعيش في ظله تحت مبدأ الاعتراف عبر الحب، والحق، والتضامن؟

وبذلك نتجاوز العمى الأخلاقي في فهمه، ولا تبدو (غرباء على بابنا) بحسب توصيف باومان. وليس ببعيد عن رؤية باومان، يذهب د. عبد الغني عماد إلى تجاوز ما يصفه بالعطب النبوي والعمى السوسولوجي، فضلاً عن الاستيعاب والإندراج في معطيات الثقافة المهيمنة أي الأكثرية من دون المساس بخصوصية الهويات الفرعية لنخلق التجانس الثقافي عبر الثقاف لا الاتفاق فالتجانس الثقافي بين الأفكار المتصارعة بمثابة أداة انبعاث وتحدد ذاتي وخلق قوى جديدة في مواجهة التعصب داخل عالم الانعزال واخفاقاته التاريخية، كما يعبر عن ذلك داريو شايغان في كتابه أو هام الهوية، ويضيف علينا أن نتذكر إننا وعلى الرغم من المسافة التاريخية والجغرافية التي تفصل بيننا وبينكم، فإننا مسافرون على مركب واحد.

أما مقترحاتنا فنذهب إلى عدم اصرار الهويات الفرعية على القطيعة ومحاولات اثبات أصالتها ونقاؤها بعيداً عن الرغبة في الإنتماء بمشتركات هوياتية، أو خلق أو هام مصطنعة أو زيادة ما يتعلق بتاريخها وتضخيمه عبر تحريك سرديات تسويغ وجودها، وتأصيل أصلانيتها واستهدافها في الوقت نفسه، إذ إن هذه السرديات قد تشوه التاريخ وتشوشه، بل وتصل إلى حدود إقامة التوازن الهش داخل تعايش الثقافات والهويات والشعوب، بحسب ما يرى داريو شايغان.

ومن سبل العيش المشترك هو الانفتاح على الآخر، فإذا كان الآخر هو الجحيم بتعبير سارتر

## الهوامش والإحالات

٩- خارج الجماعة، عن الفرد والدولة والتعددية الثقافية، د.

نادر كاظم، دار سؤال للنشر، بيروت، ط٢، ٢٠١٩، ص ١٤٥.

\*\*\* حنة آرت مفكرة وفيلسوفة ولدت في ألمانيا، من أسرة ذات أصول يهودية، غادرت ألمانيا بعد وصول النازية، وبعد أن تم اعتقالها، ومن ثم إطلاق سراحها، لتستقر في الولايات المتحدة الأمريكية، لها عدد من المؤلفات في الفكر والسياسة والفلسفة.

١٠- ينظر: الإمبريالية ومعالم الإبادة والعنصرية والشمولية، ت: نادرة السنوسي، دار الروافد الثقافية، ط١، ٢٠٢٠، ص ١٤٤.

١١- ينظر: في المعاداة للسامية واستحالة الاندماج، حنة آرت، ت: نادرة السنوسي، دار الروافد الثقافية، ط١، ٢٠٢٠، ص ٦٨.

١٢- المصدر نفسه، ص ١١.

١٣- الحداثة والهولوكوست، زيجمونت باومان، ت: حجاج أبو جبر، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٤، ص ٢٠٥.

١٤- النظام الشمولي، آليات التحكم في السلطة والمجتمع، حنة آرت، ت: نادرة السنوسي، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط١، ٢٠١٩، ص ٣٠٠.

\*\*\* د. نادر كاظم، باحث وكاتب وأكاديمي من البحرين، له دراسات عدّة في الهوية والآخر ومفهوم الأمة.

١٥- ينظر: أمة لا اسم لها: من بناء الأمة إلى تفككها، نادر كاظم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٢١، ص ١١.

١٦- ينظر: المصدر نفسه، ص ١٨٧.

١٧- ينظر: المصدر نفسه، ص ١٨٧.

١٨- ينظر المصدر نفسه، ص ٣٦٦.

\* اعتمدنا استخدام « الهويات الفرعية » أو « الهوية الفرعية»، بدلاً من « الأقليات أو الأقلية»، إلا ماورد في متون النصوص المنقولة، بوصفها جزءاً من النسيج الاجتماعي، وهذا النسيج لايعتمد القلة أو الكثرة؛ بل هو مجموعة مكونات اجتماعية وثقافية ودينية وغيرها، تُسهم في تشكيل المجتمع وتحديد سماته، فضلاً عن إن توصيف الأقلية يحمل معنى السلطة والهيمنة عن ميشيل فوكو.

١- الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مجموعة مؤلفين، تحرير وتقديم: رياض زكي قاسم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٣، ص ٧١.

٢- الهوية والمواطنة، البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة، د. عبد الحسين شعبان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٧، ص ٣٨.

٣- المصدر نفسه، ص ٣٨.

٤- المصدر نفسه، ص ١٢٩.

٥- سوسولوجيا الهوية، جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، د.عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٧، ص ١٥.

٦- المصدر نفسه، ص ١٧.

\*\* اعتمدنا تصنيفات د. عبد الغني عماد، في كتابه سوسولوجيا الهوية، والذي قَسَمَ بموجبه الهويات العامة وليست الفرعية فحسب، إلى أقسام عدّة. ينظر: المصدر نفسه، ص ١٤ ومايليها.

٧- ينظر: المصدر نفسه، الصفحات ١٧، ١٥، ١٤، ١٠٤.

٨- لماذا نكره؟ أو كراهيات منفلتة مرة أخرى، د. نادر كاظم، دار السؤال للنشر، لبنان، ط٢، ٢٠٢١، ص ١٥.

## المصادر والمراجع

- ١٩ - غورا، رابندرانات طاغور، ت: د. ماري شهرستان، الهيئة السورية للكتاب، دمشق، ط١٥، ٢٠١٥.
- \*\*\*\*\* ورد جزء من تحليل الرواية في كتاب:
- الرواية العربية مابعد الحداثية: تقويض المركز، الجسد، تحطيم السرديات الكبرى، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠١٣، ص ١٤٤ وما يليها.
- ٢٠ و ٢١ - فقهاء الظلام، سليم بركات، مؤسسة بيسان برس للصحافة والنشر والتوزيع، قبرص، ط١، ١٩٨٥، ص١٦، ص٢٠٣-٢٠٤ على التوالي
- ٢٢- ينظر: العمى الأخلاقي، فقدان الحساسية في الحداثة السائلة، زيغمونت باومان وليونيداس، ت: محمود أحمد عبد الله، دار شهباز، البصرة، ط١، ٢٠٢٢، ص١٢٥.
- ٢٣ و ٢٤ - سوسولوجيا الهوية، مصدر سبق ذكره، ص١٧.
- ٢٥ - الهوية، حوارات مع بينديتو فيشي، زيغمونت باومان، ت: محمود أحمد عبد الله، دار شهباز، البصرة، ط١، ٢٠٢٢، ص١٦.
- ٢٦ - الحداثة والهولوكوست، مصدر سبق ذكره، ص١٥٢.
- ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ - المصدر نفسه، الصفحات: ١٥٣، ١٥٦، ١٥٣.
- ٣٠ - سوسولوجيا الهوية، مصدر سبق ذكره، ص١٦.
- ٣١ - عازف البيانو، فلاديسلاف شيلمان، ت: مهدي سليمان، دار صفحة سبعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٢١، ص١٢-١٣.
- ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ - الصفحات: ٨٢، ١٦-١٧، ٢١، ٦٨.
- ٣٦ - يامریم، سنان إنطوان، دار الجمل، بيروت، ط١، ٢٠١٢، ص١٥٠.
- ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ - المصدر نفسه، الصفحات: ٩٧، ٦، ٢٥.
- ٤٠ - الصور على الحائط، تسيونيت فتال، ت: عمرو زكريا، دار ميسوبوتاميا، بغداد، ط١، ٢٠١٧، ص١٣.
- ٤١ و ٤٢ - المصدر نفسه، ص١٣٩ - ١٧١.
- الإمبريالية ومعالم الإبادة والعنصرية والشمولية، حنة أرنت ت: نادرة السنوسي، دار الروافد الثقافية، ط١، ٢٠٢٠.
- أمة لا اسم لها: من بناء الأمة إلى تفككها، نادر كاظم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٢١.
- الحداثة والهولوكوست، زيغمونت باومان، ت: حجاج أبو جبر، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٤.
- خارج الجماعة، عن الفرد والدولة والتعددية الثقافية، د. نادر كاظم، دار سؤال للنشر، بيروت، ط٢، ٢٠١٩.
- الرواية العربية مابعد الحداثية: تقويض المركز، الجسد، تحطيم السرديات الكبرى، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠١٣.
- سوسولوجيا الهوية، جلدات الوعي والتفكك وإعادة البناء، د. عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٧.
- الصور على الحائط، تسيونيت فتال، ت: عمرو زكريا، دار ميسوبوتاميا، بغداد، ط١، ٢٠١٧.

- فقهاء الظلام، سليم بركات، مؤسسة بيسان برس للصحافة والنشر والتوزيع، قبرص، ط١، ١٩٨٥.
- في المعادة للسامية واستحالة الاندماج، حنة آرنت، ت: نادرة السنوسي، دار الروافد الثقافية، ط١، ٢٠٢٠.
- عازف البيانو، فلاديسلاف شيلمان، ت: مهدي سليمان، دار صفحة سبعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٢٢.
- العمى الأخلاقي، فقدان الحساسية في الحداثة السائلة، زيغمونت باومان وليونيداس، ت: محمود أحمد عبد الله، دار شهريار، البصرة، ط١، ٢٠٢٢.
- غورا، رابندرانات طاغور، ت: د. ماري شهرستان، الهيئة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠١٥.
- لماذا نكره؟ أو كراهيات منفلة مرة أخرى، د. نادر كاظم، دار السؤال للنشر، لبنان، ط٢، ٢٠٢١.
- الهوية، حوارات مع بينديتو فيشي، زيغمونت باومان، ت: محمود أحمد عبد الله، دار شهريار، البصرة، ط١، ٢٠٢٢.
- الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مجموعة مؤلفين، تحرير وتقديم: رياض زكي قاسم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٣.
- الهوية والمواطنة، البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة، د. عبد الحسين شعبان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٧.
- النظام الشمولي، آليات التحكم في السلطة والمجتمع، حنة آرنت، ت: نادرة السنوسي، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط١، ٢٠١٩.
- يامريم، سنان إنطوان، دار الجمل، بيروت، ط١، ٢٠١٢.

## Sub-identities The Right to Being – Narratives plotism - Inventing the Self

Assistant Prof. Dr. Majida Hato

### Abstract

**D**espite the tremendous progress that modernity has made in all fields, it has at the same time led to the two greatest world wars, in addition to establishing hierarchies that have reinforced the concept of the originality of identity and the purity of race, which has led to the absence, exclusion, marginalization and marginalization of sub-identities. The post-modern reaction was to celebrate pluralism, difference and diversity, which is the positive side; as it granted the margin the right to exist and a larger space to express its identity, but the negative side of the matter is that it created new centers in which it sought to undermine the centers of modernity!

While we do not deny the right of sub-identities, these identities have sometimes adopted the concepts of superiority, in addition to practicing isolation and relying on claims of exclusion, denial, oppression and marginalization. This is what we seek in this research; that is, to reveal it by examining the discourse of sub-identities in the philosophical blog, the autobiographical blog and the fictional novel, in addition to proposing methods of coexistence as presented by these blogs and in addition to our proposals, in order to find methods of coexistence in a world that is spacious for everyone and enjoys the same rights and duties.

Keywords: Sub-identities - Postmodernism - The right to Being – narratives plotism - Construction of the self.